

د/ عمرو حمزاوى

د/ناتان براون

د/مارينا أتاوى

تحية طيبة ..

قرأت بإمعان دراستكم المكثفة حول النقاط الست التى لم يتمكن الدارسين و الباحثين في الغرب من معرفة الرؤية الكاملة لخطاب الإسلام الإصلاحي حولها . وأشكر لكم جهديكم و دأبكم على دراسته المتميزه التى قمتم بها حول أطروحات الإسلام الإصلاحي والذى يمثل الإخوان المسلمون رافعته القويه . ومصطلح (الإسلام الاصلاحى) هو التوصيف الدقيق لنشاط الحركة الاسلاميه الذى يضيق عن توصيفه مصطلح (الإسلام السياسى) فهو يحصر هذا النشاط في الممارسه السياسيه فقط وهو ما يخالف الواقع.. فنشاط الحركة الاسلاميه اجتماعي وتربوى وثقافى وتعليمى و تنموى. وأود قبل أن أقدم رؤيتى – كعضو في مكتب الإرشاد – أن أشير إلي أن كثير- إن لم يكن كل - ما أثير في هذه الدراسه قد تناولناه بالتوضيح مرات كثيره سواء في مبادره فضيله المرشدالعام للجماعه أو في الدراسه التى أصدرتها بعنوان(المفهوم الإسلامى للإصلاح الشامل) ..أو في المقالات و الحوارات الإعلاميه .. وقد قام عدد من شباب الإخوان بجمعها في كتاب بعنوان (مجددون لا مبددون) أرجو أن يكون في خلفيه متابعاتكم و دراساتكم عن آراءنا وتصوراتنا لمفهوم الإصلاح سواء فيما يتعلق بالأوضاع الراهنة .. أو الوضع النموذج لما ينبغى أن يكون عليه (الإنسان) في هذا العصر الذى طالت حيرته و معاناته و عذابه في سعيه نحو حقه الطبيعى في السعادة والسلام والرخاء.

ومن المهم ابتداء أن نوضح أن الإخوان المسلمين هيئه إسلاميه وليست مجرد جمعيه دينيه وأيضا ليست حزبا سياسيا بالمعنى الاصطلاحي للحزب السياسى ..و هناك حديث عميق يدور داخل الجماعه عن تحولها كليه إلى حزب وتقوم بدورها الإصلاحي من خلاله أو أن يتفرع عنها حزب سياسى لا صلح له بالعمل الدعوى والاجتماعي الذى تقوم به الجماعة دون اقتراب من العمل السياسى فذاك يقوم به الحزب مع تحديد واضح لدور كل منهما . وقد أكسبتنا التجارب التاريخيه الذاتيه و المغايره وأيضا التطور الطبيعى للفكر والحركه في مسار الحياه الإنسانيه نحو الكمال والتمام بتفاعلها مع عصرها و زمانها بكل ما فيه من أفكار وتصورات ومستجدات... أكسبتنا رؤية واضحة ودقيقه للتمييز بين ما هو ودعوى وبين ما هى سياسى وماابدا خلطا وتداخلا سببه التضيق و الحصار والملاحظه والقمع الذى تمارسه الدوله . أما و المجتمعات تنعم بالحريه و الحركه فان الأمر سيكون واضحا غايه الوضوح خاليا من أي لبس أو خلط .. هناك (حياه)لا بد ان تدار شؤونها على اكمل ما تكون الإداره الحديثه في كل ما يتعلق بصلاح هذه الحياه ونموها وتطورها ... وهناك (دين) يقيمه الناس ويستهدون بهديه و يعبدون الله بارساء قيم النصيحه و التعاون فيما بينهم . واحب ان اشير الى ان جوهر الموضوع في الإسلام هو الإنسان الصالح الذى يحوى في عقله وقلبه ضميرا ذاتيا يقظا ملهما له باستحسان الحسن واستقباح القبيح و يميل إلي أيهما وفق إرادته حره تأسست على أن لا يعبد إلا الله و لا يخاف إلا الله .. وان هناك حسابا كاملا بعد انتهاء حياته عن ما وقع عليه اختياره بكامل إرادته في هذه الحياه.. هذه المعاني ركن ركين في الثقافه الإسلاميه قد لا يشعر بمدى عمقها و مدى تأثيرها إلا من اقترب من (الإسلام).

سأتناول في هذه الورقه النقاط الست الوارده في التقرير بالتوضيح .. وسأحاول أن أزيل الغموض والذى يبدو أن مصدره هناك وليس هنا كما يقولون .. لأنه يبدو لى أن معظم القراءات التى تمت لمشروع الإسلام الإصلاحي يغلب عليها الرفض المبدئي والذى ينبع من صورته ذهنيه تكونت من تفاصيل تاريخيه وثقافيه تحتاج إلى كثير من النقاش و المراجعة بين ما نراه نحن وما يراه غيرنا .

(أ) **1) الشريعة الإسلامية** : تتوج (الرحمة) على القمة في منظومة القيم الإسلامية .. وفي القرآن الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ومن منطلق هذه الرحمة جاءت الشريعة الإسلامية بكل ما فيها من أحكام ترجمه لهذه القيمة الأساسية .. واحكام الاسلام في عمومها جاءت لتأكيد ثلاثه امور كلها تنبع من هذه القيمة

أولها (العبادات) لتهديب النفس الانسانيه والارتقاء بغرائزها وثانيها (اقامه العدل) بين الناس بلا استثناء او تمييز باى حال من الأحوال وثالثها(تحقيق مصالح الناس) .. يقول احد العلماء(حيثما وجدت المصلحه وجدت الشريعه) ومن هنا كانت كل أحكام الشريعة بغرض تحقيق الخير والصلاح للإنسان.. وقد رتب العلماء مقاصد الشريعة الى ضروريات وهي حفظ النفس والعقل و الدين والمال و النسل وكماليات تحمى الاصول الخمسه السابقه وتحفظ كرامه الانسان على الأرض كما قضت اراده الله(ولقد كرمنا بنى ادم ..) وهذه المقاصد كما نرى تستوعب الحياه الانسانيه كلها وتنتج انسانا مسلما يشعر بانتمائه للإنسانيه ويتفاعل بحريه وكرامه مع الآخرين ويتعايش مع كل من حوله في سلام وتعاون .. والادراك الواعى و التطبيق الصحيح لهذه المقاصد هو صمام أمان للمجتمع و حمايه له من التعصب والتطرف والعنف ..و يمثل قانون العقوبات في الشريعة

الإسلاميه ما نسبته عشره بالمائه تقريبا من أحكام الشريعة .. و مع ذلك فقد استحوذت على كل اهتمام المحللين والمتابعين لموضوع(الشريعه) مما يعطى انطبعا بان هذا القانون هو كل الشريعه... الامر الذى يخالف العلم الصحيح بالشريعه ومقاصدها كما أوضحنا .. والدارس المتعمق لهذه القوانين في منظورها التاريخي او في إجراءاتها التطبيقية يجد انها عقوبات رادعه اكثر بكثير من كونها عقوبات تنفيذية .. فلكي يطبق حد السرقة مثلا لا بد من توفر شروط اجرائيه يكاد يكون توفرها في عداد المستحيلات .. ونفس الأمر في باقى العقوبات .. وقوه الردع في القانون أهم من القانون ذاته كما نعلم جميعا .. وكلما ازدادت قوه الردع فى القانون كلما ازدادت قيمته في حفظ تماسك المجتمع و صونه واصلاح (المجرم المحتمل). و نتذكر حديث الرسول (ادروا الحدود بالشبهات) والشبهات هى كل ما يفسر لصالح المتهم لابعاد شبح تطبيق العقوبه عليه وبعضالباحثين ذكروا انه يجوز للقاضى الغاء الحد على المتهم اذا أعلن التوبه . هذا بالنسبه لقانون العقوبات الذى يساء فهمه عن الاسلام .. وتجدد الاشاره الى ان كل تطور وتقدم حقيقته البشريه لصالحها ونفعها داخل في الشريعة التى هى كما وصفها أحد العلماء (عدل كلها قسط كلها رحمه كله. وكل مسألة خرجت من العدل إلى الظلم ومن القسط إلى الجور ومن الرحمه الى ضدها فليست من الشريعة و إن أدخلت فيها بالتأويل) .. و الأصل في الإسلام أن كل شىء مباح إلا ما حرم بنص قطعى الدلالة والمحرمات معلومة و محدده . وفي الحوارات الهامه التى دارت بين الشيخ الإمام محمد عبده (أحد الأباء المؤسسين لمشروع الإسلام الإصلاحى) وارنست رينان و فرح انطون ما قد يساعد البعض على اضاءه هذه المساحه الرماديه.. ذلك انه ربط ربطا موضوعيا رائعا بين الحضاره الاسلاميه كلها والشريعه ومقاصدها.

2) العنف : العنف فضلا عن انه يتناقض مع مبادئنا و مناهجنا فهو ايضا ضد مصلحتنا ومصلحه أوطاننا .. وفهمنا الصحيح للاسلام يجعلنا نثق كل الثقة بالطبيعه الإنسانيه وبقدره الإسلام على التفاعل الخلاق مع هذه الطبيعه في أجواء الحرية والتنافس الديمقراطى الذى يحترم التنوع و التعدد و

الاختلاف في السعى نحو بناء مجتمعات جديدة لا تشيع فيها رائحة الدم و الانتقام و القمع و اعتقد ان الحديث الآن حول صله مشروع الإسلام الإصلاحي بالعنف أصبح غير ذى موضوع .. والفارق بين المقاومة للباغى والغاصب والمحتل وبين الترويع و التفريع و سفك الدماء البريئة واضحا للجميع .. والمطلوب حقيقة من الغرب تاريخيا وفعليا أن يتطهر هو من العنف .. ففى دراسة اطلعت عليها مؤخرا رصد كاتبها انه خلال القرنين الماضيين خرجت كل المأسى وأشكال العنف التى حطت على رؤوس البشر من الغرب : الحروب الدينية الشرسه بين الكاثوليك و الأرثوذكس و بينهما وبين البروتستانت .. حرب المائة عام (1337 – 1453م) بين إنجلترا وفرنسا .. ثم ما لبثت أن أطلت من الغرب فكره الملكية الاستعمارية التى أنتجت الرأسمالية ثم الشيوعية كعقيدة مناهضة لها ثم ظهرت الفاشية و النازية كمفاهيم استعلاء و عنصريه .. و لاتنسى الذاكراه الانسانيه حربين عالميتين من ابشع الحروب في تاريخ البشر.. والشرق الأوسط الآن مثلا واضحا للعنف الغربى والى الآن نسمع ونرى أصوات الأصولية الدينية كعقيدة سياسية يؤمن بها ويرعاها الملوك والرؤساء في الغرب نتمنى من الغرب فكريا وفعليا اعلاء قيمه(التسامح) ولعل في سيره قائد غربى مثل (الإمبراطور الألماني فريدريك الثانى1212 – 1250م) ما يعد نموذجا في معنى التواصل الحضارى و التطبيق الفعلى لقيمه إنسانيه عظمى كقيمه التسامح .

3)التعدديه السياسيه : التسليم بالتعدديه بين البشر تسليم بحق الاختلاف الذى هو حقيقه من حقائق الحياة . وبالتالي فالتعدديه في فهم الافكار ووسائل تحقيقها في حياه الناس أمر طبيعى و منطقى ويعتبر الإسلام هذا التنوع والاختلاف .. قيمه تزيد الرؤيه الانسانيه ثراء وتمنحها إحاطه و عمق .. فاليسار يقدم رؤى في العدل الاجتماعى جديره بالتواجد في ساحه العمل السياسى .. والليبراليه تقدم رؤى عن الحريات جديره بالتواجد السياسى وكل هذه الافكار يسعها المجتمع طالما لا تتعارض مع القيم العليا في دستور التوافق و الإجماع الذى يمثل مرجعا للجميع . وقد اصبحت التعدديه وحق اصحاب الراى الواحد في الاجتماع والتنظيم من اكبر الضرورات في عصرنا هذا الذى تغولت فيه الدوله الحديثه و تضخمت اجهزتها وادواتها القمعيه نتيجه للتقدم التكنولوجى الهائل واصبح معه الفرد المعارض في غايه الضعف اذا ما عارض الدوله واختلف معها .. اما في حاله الحزب او الجمعيه او اى تكتل فإن مجابهه الدوله تصبح ممكنه ويتحقق التوازن الذى يضبط حركه الحياه السياسيه والاجتماعيه..

ويضاف الى ذلك ايضا الحق في الاعلام بكل الوسائل الحديثه الواسعه النطاق مما يزود أصحاب الراى بأدوات مهمه للتعبير الكامل عن آراءهم

4) الحقوق السياسيه والمدنيه : حتى الآن تظل الديمقراطيه هى انجح وسيله مطروحه فكريا وسياسيا لتحقيق حقوق الانسان وكرامته ومشروع الاسلام الاصلاحى لا يعتبر الديمقراطيه حكم الشعب فقط و لكن ايضا التعايش السلمى الكريم بين كل فئات المجتمع وتبادل السلطه فيه سلميا ودستوريا و المساواه بين الناس في تطبيق القانون و في ممارسه الحقوق والحريات .. والحريه في حد ذاتها قيمه اسلاميه ملزمه ... ويزداد الأمر أهميه حين يتعلق الأمر بالحريه السياسيه وحريه الراى لأننا هنا اصل اصل هام من أصول الإسلام وهو حريه الاختيار..

5) حقوق المرأه : يؤكد الاسلام على الحق الكامل للمرأه في اداره شئون الاسره مع زوجها (عن تراض وتشاور) كما يذكر القرآن الكريم .. وفى الحياه العامه.. للمرأه كل الحق في المشاركه في توجيه حركه المجتمع وسياسه الدوله .. ولها كل الحق في تولى كل المناصب .. ومع تطور المؤسسات السياسيه في ممارسات الحكم و التى اصبحت اقرب ما تكون الى قياده الجماعيه فإن

للمرأة المشروع الكامله في تولى الرئاسة مثلها مثل الرجل .. ولعلنا نتذكر أن المرأة لم تنل حق التصويت في الانتخابات العامه في فرنسا إلا في عام 1945 بعد ما اظهرته من شجاعه وقوه في مواجهه الاحتلال الألماني .. !!! والمشكلة في رأى تكمن في تراث إنساني طويل فى التقليل من شأن المرأة و اعتبارها كائننا ناقصا !!.. وتعتبر الحضارة الإغريقيه عن هذا المفهوم الخاطيء في قول(أرسطو) انه يحمد الله لأنه ذكر ولأنه يوناني ولأنه فيلسوف !!!؟؟ ومشروع الاسلام الاصلاحى يحمل للمرأة دورا كبيرا في النهضه .. (المرأة الإنسان) التى هى نصف المجتمع و تربي النصف الآخر .. المرأة الطبيبه والمعلمة والمهندسة... المرأة التى تنتج وتعمل وفق ما ترى وتختار وتستطيع .. و حجاب المرأة في الاسلام يدور وفق مفهوم الاحتشام و الأخلاق ومهما بلغ المدى الذى يتطلبه هذا المفهوم فهو لا يغطى عقلها ولا شخصيتها ولا إنسانيتها ... ولعل نظره الغرب الى

(المرأة الأثنى) تحتاج الى كثير من التصويب و التحسين اذ أن الأمر الآن تجاوز الحدود فيما يمثل امتهان للإنسانيه كلها بامتهان المرأة فيما يعرف بصناعات الأزياء والتجميل و صناعات الجنس وهو الأمر الذى ينافى القيم الإنسانية والدينيه .. ويحط من قيمه المرأة الأم والأخت والزوجه .. المرأة التى هى نصف الدنيا.

6) الإقلييات الدينيه : تعد حريه الاعتقاد اول حق من حقوق الإنسان و التى يتحقق بها وصفه بالانسانيه و المبدأ الإسلامى الذى يحكم ذلك هو(لا إكراه في الدين) والإيمان بدين او عقيدة يكون ارتضاء وقبولا من النفس ويستحيل عقلا ومنطقا ان يكون هذا الإيمان بالإكراه والإلزام وعلى ذلك فالإسلام جعل الإيمان الدينى ينبع أولا من الحريه

الكامله والاختيار الخالى من أي ضغوط أو اغراءات .. يذكر القرآن الكريم(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

ومن المهم ان نؤكد إيمان المسلمين بإسلامهم لا يتحقق إلا بحماية غير المسلمين بينهم و حفظ حقهم في الاختلاف في الدين... وتعد المواطنه في مشروع الاسلام الاصلاحى أساس للوجود فى المجتمع بغض النظر عن الدين أو اللون أو المذهب .. والعدل العام بين الناس قيمه اسلاميه عليا (إن الله يأمر بالعدل..) والاساس الذى يقوم عليه النظر والتعامل مع غير المسلمين في المجتمع الاسلامى المنشود هو أن الفرد للمجتمع و المجتمع للفرد بكل مافى ذلك من تعاون وتراحم وحب واحترام .. ونحمد الله ان مجتمعاتنا لم تشهد يوما حادثه مثل الحادثه التى تعرضت لها (روزا بارك) سنه 1955من خمسين سنه لا اكثر في مدينه منتجمرى بولاية الباما حينما رفضت أن تخطى كرسيها في الحافله لمواطن أمريكي مثلها تماما ولكنه ابيض ..!!!ذلك ان القانون كان ينص وقتها على أن الصفيين الأماميين في أي حافله للمواطن الأمريكي الأبيض ولا يجلس فيهما المواطن الأمريكي الأسود!!

فحقوق الاقلييات (وانا اسجل تحفظى على وصف اقلييات لغير المسلمين في المجتمع المسلم).. مكفوله بقوه القانون .. وبروح التطبيق الإسلامى الذى جعل الكرامه الإنسانيه حق لكل البشر ... والجزيه والذميه و ما الى ذلك من مصطلحات تاريخيه حل محلها مفهوم(ديمقراطيه المواطنه في دوله العدل والقانون) .. تلك الدوله النموذج التى يتطلع مشروع الاسلام الاصلاحى وفى القلب منه الاخوان المسلمين الى قيامها و رؤيتها حقيقه وواقعا .

د/عبد المنعم ابو الفتوح
عضو مكتب الارشاد
جماعه الاخوان المسلمين